دكتور بهاء الأمير

شفرة سورة يوسف



دكتور بهاء الأمير

شفرة سورة يوسف(•)

(•) مقدمة كتاب: النازية واليهود والحركات السرية.

الحمد لله علام الغيوب، أنزل عز وجل وحيه وعداً لبني إسرائيل مفعولاً، ونوراً يُظهر به ما خفي من سيرتهم، وقص فيه أحسن القصص، وكشف فيها من خبيئة نفوسهم، ومن فرائد تكوينهم وخصائص تدبيرهم، ما يزيل به غفلة المؤمنين عنهم، وما يُرشدهم إلى الوعي بهم، والانتباه إلى فِعالهم في التاريخ الخفية وآثارهم في البشر العصية، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين الذي يجدونه عندهم مكتوباً، ووعداً لهم موعوداً.

وبعد،

عَوَّدت من يرسلون رسائل واستفسارات أن أجيب عليها، وكنت أفعل ذلك في ما يتيسر من أوقات الفراغ، ولكن في الآونة الاخيرة زاد عدد الرسائل زيادة كبيرة، وبرزت ظاهرة قوائم الأسئلة، التي يرسل فيها صاحبها قائمة من الأسئلة تصل في بعض الأحيان إلى عشرة أسئلة أو أكثر، ولكثرة الأسئلة وتنوعها، صرت أجيب على كل سؤال بما يناسب أهميته وما يثيره من قضايا وما يحتاجه الرد عليه من معلومات، فبعض الأسئلة أجيب عليها ردوداً قصيرة في بضع عبارات، وبعضها أجيب عليه بفقرات، وبعضها بمقالات أو دراسات.

ومن بين عشرات الرسائل ومئاتها، قد تحوي إحداها سؤالاً يثير قضية كبيرة، أو مسألة يستحق الرد عليها أن تُدرس بعناية، وحينئذ أُؤخر الرد عليها إلى أن انتهي من غيرها من الأسئلة، ويكون في مقدوري أن أُفرِّغ لها وقتي وذهني، فإذا أتت اللحظة الحاسمة هجرت الرسائل وأغلقت الأبواب التي تأتي منها، وتركت العالم وأبحرت في المسألة استكشف بحارها المجهولة وأرتاد جزرها غير المأهولة.

وآخر ثلاثة كتب كتبتها كانت رحلات للإجابة عن أسئلة أو استفسارات، وهي كتاب: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، وكتاب: تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب، ثم هذا الكتاب الذي بين يديك.

في شهر أكتوبر سنة ٢٠١٦م وصلتني رسالة موقعة باسم رمزي هو :tergo90، وهذا نصها:

"**السلام عليكم، هناك أمر أريد أن أعرفه حول الحركات السرية التي كانت في ألمانيا النازية كـ: Thule و Vril وعلاقتها باليهود، وكذلك حول تطويرها لمركبات UFO، التي يقول البعض إن العلماء الألمان أُخذوا الى أمريكا ويعملون على إخفاء هذه التكنولوجيا من أجل إظهارها في الوقت المناسب، آسف على الإطالة، وبارك الله فيك يا دكتور**".

وحين شرعت في الرد على الرسالة، كنت أنوي كتابة دراسة عن المسألتين اللتين فيها، وهما صلة النازية وقادتها بالحركات السرية، وعلاقتها بالأطباق الطائرة، لكن بعد أن أوغلت في الكتابة، كان لابد من توسيع موضوعات الدراسة وإزالة حواجز الوقت والمساحة من أمامها، لأسباب عديدة، أولها أن حصر المسألة في علاقة النازية بالحركات السرية زاوية ضيقة في رؤية النازية، ولا يمكن من خلالها فهم دور الحركات السرية في نشأة النازية وتفسير غرضها من ذلك تفسيراً صحيحاً.

وعلاقة الحركات السرية بالنازية لا يمكن فهمها ولا تفسيرها، إلا داخل صلة النازية باليهود، وبمعرفة موقعها من المسار اليهودي للعالم، ودورها في دفعه نحو غاية اليهود، ومن غير ذلك ينحرف الكلام عن هذه العلاقة إلى باب أفلام الإثارة والأكشن، ويقع في أسر نظرية المؤامرة والتفسير

التآمري، وهو ما يريده اليهود أنفسهم ويعملون على بثه وإشاعته وتضخيمه، ليكون ما يثيره من غبار الإثارة وضوضاء المؤامرات والمعارك حول نفيها وإثباتها حجباً لمواقعهم الفعلية وطمساً لآثارهم الحقيقية.

وعلاقة النازية باليهود واسعة معقدة ومتعددة الجوانب والوجوه، فمنها علاقة النازية باليهود والماسون في العالم الرأسمالي، خصوصاً في الولايات المتحدة الأمية، ومنها علاقة النازية بالحركة الصهيونية، وعلاقتها بيهود الحركات السرية أو علاقتهم بنشأتها وصناعتها، ثم يهود النازية نفسها، وعلى رأسهم هتلر.

وجلها، كما ترى، أبواب مجهولة، لم يفطن إليها أويطرقها أحد في الشرق، ومن طرقوا شيئاً منها في الغرب أميون يفتقدون الوحي، وهو الضوء الكاشف للمسألة اليهودية، ولا يمكن فهمها وتفسير ما يكتنفها من غرائب وما تمتلئ به من متناقضات إلا به، ومن خلال ما يرويه من سيرة إسرائيل، وما يكشفه في ثنايا روايته عنهم، وفي النماذج التي يوردها من هذه السيرة، من تكوينهم النفسي والذهني، وخصائص تدبيرهم، وطبيعة العلاقة بينهم وما فيها من فرائد غير مألوفة.

ولأن علاقة النازية باليهود متعددة الجوانب، وغلافها الذي يبدو بسيطاً وينحصر في العداء بين النازية واليهود، يختلف اختلافاً بيِّناً عما يحفل به باطنها من تعقيد وخفايا وغرائب، فهذه العلاقة هي نفسها تدخل في عالم السر والخفاء.

ومن الأسباب التي دعتنا إلى توسيع المسألة وتناول العلاقة بين النازية واليهود بصورة شاملة، ومن مختلف جوانبها، أن هذه العلاقة بغرائبها

ومخالفة حقيقتها لغلافها، وكيف تمكن اليهود من خلالها من دفع مسار التاريخ نحو وجهتهم والاقتراب من غايتهم، هي في حقيقتها نمط من أنماط اليهود المتكررة في صناعة الأحداث عبر التاريخ، وليست سوى نموذج لعلاقات أخرى من هذا الطراز، وبعضها كان مسرحه بلاليص ستان!

وهو ما ألمعنا الإشارة إليه في ثنايا الكتاب، وما سوف يدركه القارئ الفطن وحده وهو يقرأ ما فيه من تفاصيل عن هتلر ويهود النازية والعلاقة بين اليهودية والعقيدة النازية، وما لا يحتاج إلى أن ننبهه إليه، إذا كان فَطِناً!

فالسيناريو الألماني يبدأ في مشاهده الأولى بصناعة العقيدة الآرية النازية، أو الاشتراكية القومية الألمانية، في معامل الحركات السرية، وزعزعة العقيدة الإلهية بها، وامتصاص النابهين وذوي الطاقة والطموح وضخ هذه العقيدة في أذهانهم ونفوسهم وتكوينهم بها، ويتلوه في المشاهد التالية إطلاقهم ليتولى فريق آخر من اليهود تمويلهم والصعود بهم إلى السلطة وتمكينهم منها، ليملأوا المجتمع بالشعارات عن أصولهم القومية، ويعيدوا في ثنايا ذلك إحياء عقائد أجدادهم الذين بادوا وعاداتهم وأعيادهم الوثنية، وينقضوا بهذه وتلك أصول المجتمع ويطيحوا بثوابته ويهتكوا نسيجه ويُزوِّروا تاريخه ويركبوا عوامه، ويوظفون في ذلك صنائعهم في الإعلام والتعليم والفسقة والمرتزقة من الأُدباتية والمغنواتية والمشخصاتية، ثم لكي يصنعوا لأنفسهم مجداً ويحشدوا كتل العوام العمياء خلفهم، يخوضون معارك كلامية ويشنون حروباً غربية وشرقية، حتى إذا جاء المشهد الأخير من السيناريو دفعهم اليهود دفعاً للاصطدام بهم، لينتهي الفيلم بإقامة دولة اليهود!

ولكي تعرف حقيقة ما حدث في بلاليص ستان في القرن العشرين، ليس عليك سوى أن تترجم فيلم الاشتراكية القومية الألمانية إلى العربية!

والكتاب الذي بين يديك يحوي في ثناياه نموذجاً يهودياً آخر يسير مع التاريخ ويتخلل أنسجة الأمم والشعوب ويخلخلها، وهو اليهود الأخفياء، فالنازية في جوهرها، كما سترى، هي إحدى قصص اليهود الأخفياء.

واليهود الأخفياء ظاهرة ينفرد بها اليهود، دون أمم الأرض ومللها كلها، وهم اليهود الذين يدينون ظاهراً بديانات البلاد التي يعيشون فيها، ويمارسون شعائرها، ويحملون أسماء أهلها، ويعيشون بينهم على أنهم منهم، ولكنهم يخالفونهم في باطنهم، ويعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم من نسل بني إسرائيل، ويتزاوجون فيما بينهم ويتوارثون أنسابهم سراً.

وإخفاء أسر اليهود الأخفياء لهوياتها يكون ميراثاً عريقاً فيها، وجزءًا من تكوينها وطباعها وعاداتها، ولأن إخفاءهم لهوياتهم اليهودية وتغلفهم بهويات أخرى، مسيحية في مجتمعات المسيحيين، ومسلمة في مجتمعات المسلمين، يُمكِّنهم من فعل ما لا يقدر اليهود الصرحاء على فعله.

والفيصل في هوية هؤلاء اليهود الأخفياء، ليس ما يحملونه من أسماء مسلمة أو مسيحية، ولا أنهم يصلون في المساجد أو في الكنائس، ولا أنهم يدفنون حين يموتون في مقابر المسلمين أو المسيحيين، مما هو معتاد من موازين في نسبة الأشخاص والجماعات إلى هذه الديانة أوتلك، بل الفيصل في هويتهم وغاياتهم وتحديد صلتهم بالمجتمع الذي يوجدون فيه، هو اعتقادهم أنهم من نسل بني إسرائيل، وأن دماءهم المقدسة تسري في

عروقهم، ثم سعيهم لتوجيه المجتمع الذي هم فيه في الاتجاه الذي يقربه من غاية بني إسرائيل، ويفضي إلى إعادة الهيكل.

وسعي هؤلاء اليهود الأخفياء نحو توجيه المجتمعات في اتجاه غاية بني إسرائيل، يكون سلباً وليس بالإيجاب، فهم لا يرفعون شعارات اليهود، ولا يَدْعون إلى غاياتهم، ولا ينتسبون إليهم، بل على نقيض ذلك يرفعون أعلام البلاد التي حلوا فيها، ويموهون أنفسهم في شعوبها، ويسعون إلى تصدرها، وهم يزعمون أنهم أَوْلى من يمثلها، ويزعقون بأنهم رادتها، وأنهم يريدون نهضتها والدفاع عن مصالحها، ويَصِمون من يخالفهم أو يعرقل ما يفعلونه بخيانة البلاد، أو الخروج على المجتمع، أو العداوة للشعب، ووسيلتهم في ذلك كله امتطاء عوام كل أمة بالشعارات الرنانة والكلمات الجوفاء البراقة.

ومن خلف هذه الشعارات، وفي ثنايا هذه الرايات، يسعون إلى التوغل في نسيج المجتمعات، والسَرَيان في شرايينها وأعصابها، والصعود إلى رأسها، من أجل توطئتها لبني إسرائيل وغاياتهم، عبر زعزعة عقائدها، وتحريف نصوصها، وحل أخلاقها، وتذويب معاييرها وموازينها، وإزاحة الديانات التي يموهون أنفسهم بممارسة شعائرها من اجتماعها، وكل منهم في غاياته وأساليبه وتغريره بمن يلتفون حوله صورة طبق الأصل من الآخر، على اختلاف المكان وتنائي الزمان.

وما نأتيك به من قصص وسرد لتواريخ الأشخاص أو الجماعات، في زمان أو مكان أو شعب من الشعوب، في كتابنا هذا، وفي كتبنا كلها، ليس حكايات للتسلية، ولا لكي تكون معلومات نستعرضها ونعرضها عليك، بل لكي تدرك من السيرة جوهرها، وتعي النموذج الذي تحمله، وتنتبه إلى

التكوين الذهني والنفسي لهؤلاء الأشخاص وهذه الجماعات ونمط سلوكهم وخصائص تدبيرهم.

ثم بعد ذلك نطمع فيك أن تصل إلى مرتبة أعلى، وهي أن تدرك من هذه السيرة ومن هذا التكوين أمثالها ونظائرها في مختلف الأمم والشعوب، وأن تعرف أصحاب هذه السيرة وهذا التكوين وتكتشفهم وحدك، وتفطن إلى أنهم جميعاً طائفة واحدة، وإن باعدت بينهم الأزمان أو تفرقت بهم البلدان.

فإذا وصلت إلى هذه المرتبة، فمرة أخرى، ستدرك وأنت تطالع سيرة يهود النازية الأخفياء أنها طبعة ألمانية من طبعات أخرى عديدة، وأن بلاليص ستان ليست سوى إحدى هذه الطبعات.

فالذي سوف تقرأه عن سيرة اليهود في ألمانيا، وسيطرتهم على بنوكها واقتصادها ومصانعها، وعلى إعلامها وتعليمها، وعن نشرهم للحركات السرية فيها، لتكون النازية عقيدة وقادة ودولة ناتج تفاعل المزيج الذي صنعوه، ما سوف تقرأه ليس إلا نسخة من جحافل اليهود، صرحاء وأخفياء، التي زحفت على مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر، فغسلوا عقلها، ومسخوا روحها، وأفسدوا موازينها، وغيَّروا ولاءاتها وعداواتها، فوصلوها بالغرب الذي يستوطنون عقله، وقطعوا مع العرب والإسلام علائقها، عبر إقامة المحافل الماسونية والتوغل بها في أدمغة نخبها، وإنشاء صحفها، وإدخال صناعة السينما إليها، ونشر الملاهي فيها، وعلمنة تعليمها، والسيطرة على اقتصادها، وإرساء أصول مؤسسات دولتها، ووَضْعها على قضبان تتحكم في حركتها واتجاهها، ولولا التخريب الذهني والنفسي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي الذي خربوه في مصر ما

أقيمت إسرائيل ولا تمددت، بالضبط كما أن النازية في أوروبا، كما سترى، كانت من وسائل دفع الأحداث ومسار التاريخ في اتجاه تكوين دولة بني إسرائيل.

وبقيت الأسئلة التي سوف تثور في نفسك وتحلق في رأسك، وأنت ترى ما في العلاقة بين هتلر والنازية وبين اليهود من غرائب ومتناقضات، وهي نفسها الأسئلة التي سألها ويسألها من قرأوا كتابنا: الوحي ونقيضه، أو رأوا ما قلناه في مرئياتنا، عن الرابطة بين بعض زعماء بلاليص ستان الخالدين واليهود، وموقعهم من المسار اليهودي لها، وتوظيفهم في دفعه إلى غايته.

فربما تتسأل في عجب، وأنت تتحسس طريقك في مغارات النازية واليهود والحركات السرية وكهوفها: كيف يكون هتلر يهودياً وقد بنى مجده على الصراخ في الميكروفونات بكراهية اليهود، وأقام دولته على الدعوة لفصلهم عن الشعب الألماني وتطهير أرض الآريين منهم، وكيف يكون يهودياً واليهود يلعنونه ويصفونه بأنه ألد أعدائهم، ويبكون وينوحون في كل ما يملكونه أو يسيطرون عليه من وسائل إعلام وتعليم وجمعيات أنه قتلهم وأبادهم، وإذا كان زعماء النازية يهوداً، أو كونتهم معامل اليهود في الحركات السرية، فلماذا هَجَّروا اليهود وأقاموا المعسكرات لاعتقالهم وتسخيرهم، وإذا كانوا يهوداً فلماذا أدانتهم المحاكم التي يسيطر اليهود على كواليسها وسجنت وأعدمت من وقع تحت أيديها منهم؟!

والإجابة على أسئلتك وما ثار في نفسك فيما أخبرناك به من قبل، من أنَّ ما نأتيك به من نماذج وسِيَر، غايته بيان جوهر النموذج وكشف ما تحويه السيرة من سمات البناء الذهني وأنماط السلوك وخصائص التدبير،

وهو ليس منهجنا في الحقيقة، بل هو منهج القرآن في قصصه وما يورده من أخبار الأمم السابقة عموماُ، وما يورده عن بني إسرائيل خصوصاً، ومنه أخذناه.

فليس المقصود فقط سرد تفاصيل القصة، أو حكاية وقائعها، كما هو شأن الفهم التقليدي، بل وأيضاً بيان جوهرها ومعناها ونموذج السلوك الذي فيها، وأن تكون هذه التفاصيل والوقائع وسيلة يكشف من خلالها تكوين بني إسرائيل الذهني والنفسي، وكيف تعمل عقولهم، وخصائص تدبيرهم، وهو التكوين وهي طريقة العمل والخصائص التي يتوارثونها في كل أجيالهم، وتسري في كل ما يدبرونه وما يضعون أيديهم فيه من أحداث وحوادث في طول التاريخ وعرض الدنيا، فإذا رأيتها في واقعة علمتَ أنهم من خلفها، رأيت أشخاصهم أو لم ترهم.

والإجابة على أسئلتك، وقصة النازية ويهودها الأخفياء، وتفسير علاقتها باليهود، وما في هذه العلاقة من غرائب ومتناقضات، تجده في سورة يوسف وقصته مع إخوته، وهم جذر بني إسرائيل الذي نبتت منه شجرتهم وتفرعت كل فروعهم، وتسري فيها سماتهم وخصائصهم.

تبدأ قصة يوسف مع إخوته في القرآن بقوله تعالى:

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ **(يوسف: ٣)**.

وسورة يوسف وحيدة الموضوع، فهي كلها، ومن بدايتها إلى خاتمتها، في نشأة بني إسرائيل أو بذرتهم الأولى، والخطوة الأولى في تكوينهم وبدء سيرتهم وتاريخهم في العالم، وتاريخهم معه.

فتفهم من ذلك أن الله عز وجل قص ما قصه في هذه السورة لكي يزيل غفلة المؤمنين عن بني إسرائيل، وأنه ينبههم إلى أن من افتقد الوعي بما في ملابساتها ووقائعها من سمات بني إسرائيل، فلن يفهم تكوينهم وما يفعلونه ويصنعونه، بل ولن يراهم أصلاً في أي حدث، أو يدرك أن لهم صلة به، أو يعي أنهم كانوا حاضرين فيه.

وهو ما تفهم منه لماذا هي المسألة اليهودية عصية على الأميين من بقر الغرب وبلاليص الشرق، وليس في طاقتهم النفاذ من ظواهرها إلى بواطنها، ولا في مقدورهم تفسير ما يضع اليهود أيديهم فيه من أحداث العالم وحوادثه سوى بالصدف والظروف، ولا يمكنهم إدراك صلة ما تفعله جماعة من اليهود في مكان أو زمان بما تفعله جماعات منهم غيرها في غير ذلك من الأزمان والأماكن، رغم أنه هو هو في أسلوبه وطريقته، وفي ثماره وما ينتجه.

فكل من لا يعي وينتبه إلى خصائص التدبير البني الإسرائيلي في سورة يوسف، ويكون حاضراً في ذهنه ونفسه وهو يرصد الأحداث ويفسرها، فهو من الأميين، وعن بني إسرائيل من الغافلين، ولن يفهم حقيقة ما يحدث أمامه وإن كان له من الراصدين.

فسورة يوسف هي مفتاح الشفرة الذهنية والنفسية والسلوكية لبني إسرائيل، ونموذج لكشف سمات تكوينهم وخصائص تدبيرهم وطريقة عمل عقولهم، ولبيان ما في العلاقة بينهم هم أنفسهم من غرائب، وهي ضوء لتجلية ظاهرة اليهود الأخفياء في العالم، ومفتاح لفهم البناء الذهني والنفسي والسلوكي الفريد الذي يعيش به هؤلاء الأخفياء فيما يحلون فيه من أمم وشعوب،

فيمارسون شعائرها وطقوس دياناتها وهم لا يؤمنون بها، ويحملون أسماءها ويتكلمون لغاتها ويزعقون بشعارات الانتساب إليها وهم يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم ليسوا منها.

وأول سمات تكوين بني إسرائيل الذهني وبنائهم النفسي، الذي يسري فيهم ويتوارثونه، أنهم يبررون لأنفسهم كل وسيلة توصلهم إلى غايتهم وتقربهم منها، فمن أجل أن يخلو لهم وجه أبيهم كادوا لأخيهم كيداً وألقوه في غيابت الجب وهم يُمنُّون أنفسهم أنهم سيكونون من بعد ذلك قوماً صالحين.

وعبارة: الغاية تبرر الوسيلة يُنسب ابتكار معناها وصياغتها للإيطالي نيكولو ميكيافيللي Niccolò Machiavelli، وميكيافيللي لم يفعل شيئاً سوى أنه صاغ في عبارته قانون العهد القديم، الذي يحكم علاقة بني إسرائيل بغيرهم من الأقوام، وببعضهم بعضاً.

وميكيافيللي كان يعيش في بلاط أسرة دي مديتشي De' Medici في فلورنسا، وألف كتابه: الأمير في كنفها، وأسرة دي مديتشي من أسر اليهود الأخفياء، وستجد إشارة إليها ونبذة عنها في الكتاب الذي بين يديك.

وثاني سمات بني إسرائيل الذهنية والنفسية، أن ما يستبيحونه من وسائل للوصول إلى غايتهم أو الاقتراب منها ليس له سقف ولا حدود، ويدخل فيه قتل بعضهم أو نفيهم وتهجيرهم، فلكي يصل بنو إسرائيل إلى غايتهم وينفردوا بأبيهم دبروا لقتل يوسف، ثم اتفقوا على خطة تبدأ بإلقائه في غياهب جُب يعلمون أنه سيتقلب في ظلماته بين الحشرات والأفاعي ويظمأ ويجوع، إلى أن يلتقطه سيارة ويرحلون به عن موطنه إلى جهة لا يعلمونها،

شرقية أوغربية، ولم يمنعهم من ذلك، ولا من التفكير في قتله، أنه أخوهم وابن أبيهم، ليس بينهم وبينه أحد، ولا أنه صغيرهم والضعيف فيهم.

وللزعيم الصهيوني وأول رئيس وزراء لإسرائيل دافيد بن جوريون عبارة يقول فيها إنه يفضل أن يموت نصف اليهود في ألمانيا ويهاجر النصف الآخر إلى فلسطين على أن يهاجروا إلى بريطانيا والولايات المتحدة ويعيشوا جميعهم!

فإذا تأملت عبارته وكنت فطِناً ونفذت من ظاهرها إلى معناها العميق، ستوقن أنه وريث بني إسرائيل حقاً، وتتيقن مما أخبرناك به من أن ما قصه عليك الإله في قصة يوسف مع إخوته من بني إسرائيل، كشف لبنائهم النفسي وطريقة عمل أذهانهم في جميع أجيالهم، يورثونها ويتوارثونها، ولا يغير منها مرور السنين ولا تعاقب القرون.

ويخبرك الله عز وجل أنهم:

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ (الحشر: ١٤)

فتفهم من ذلك أن قلوبهم مختلفة، ولكل جماعة منهم أهواءها وأفكارها وغاياتها، وقد تستعر بينهم العداوات، وتنشب حروب، ويقتل بعضهم بعضاً، ومع ذلك فهم فئة واحدة، لها تربة ذهنية ونفسية واحدة ينبتون منها، وجذر عام يتفرقون وهو يجمع بينهم وهم متصلون به، وما بينهم من اختلافات وعداوات نتاج هذا الجذر الواحد وداخله، وهو ما يجعلهم يظهرون لمن ليس منهم وكأنهم متفقون مؤتلفون، فما بينهم هو ما يكون من ترافس وتناطح بين النظائر وأبناء النوع الواحد.

وما أخبرك به الإله عز وجل يفسر لك ما يصاحب نزول اليهود في أي مجتمـع مِـن تفرقـه وانقسـامه، فهـم ينقلـون مـا فـي قلـوبهم وسـلوكهم إلـى المجتمعات التـي يتغلغلون فيها ويتسربون فـي أنسجتها، فيملؤونها بالأفكار الخلابـة المتضـاربة والمـذاهب الجذابـة المتناقضـة، سياسـية واقتصـادية واجتماعية وأخلاقية، ويحشدون من الأميين حول كل فكرة فريقاً، ويُنشئون بهم لكل مذهب حزباً، إلى أن يصير المجتمع وأهله صورة منهم، بأسهم بينهم شديد، وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، وما بلاليص ستان منك ببعيد.

وثالث خصائص بني إسرائيل، وما يتسم به تدبيرهم، تمويه غايتهم وما يدبرونه للوصول إليها داخل سيناريو واسع من أحداث ووقائع لا علاقة لها بما يريدونـه ولا بما يدبرونـه، فيكون هذا السيناريو الواسع بأحداثه ووقائعه متاهة تختفي داخلها غايتهم، وتتوه فيه أذهان من يرصده عنهم، ولا يمكنه أن يدرك صلتهم به أو يفطن إلى أنه من صنعهم، حتى إذا وصلوا إلى مايريدون، وتحققت غـايتهم، لم يفهم مـن يرصـدون ويسـجلون سـوى أنهـا تحققت وحدها ومن تلقاء نفسها، أو أنها كانت نتيجة عارضة لما في السيناريو الواسع من أحداث ووقائع مصطنعة لا يظهر فيها بنو إسرائيل ويتصدرها غيرهم من الأميين.

وبنو إسرائيل يغلفون غايتهم بغايات الأميين، ويموهون طريقهم وسط مساراتهم، ويطمسون آثارهم فيه بآثارهم، فإن لم يكن للأميين غاية صنعوهم وصنعوها لهم، وإن لم يكن لهم مسارات رسموها واستوطنوا رؤوسهم لكي يدفعوهم إليها.

تعرف ذلك من أنه كان في إمكانهم الوصول إلى غرضهم مباشرة، بقتل يوسف أو إلقائه في الجب، ثم ترك أبيهم يفتقد يوسف ويبحث عن سبب غيابه وما حدث له، ولكنهم بدلاً من ذلك جهزوا سيناريو واسعاً يوهمون فيه أباهم وأخاهم أنهم ذاهبون للارتعاء واللعب، ليفعلوا ما يدبرون له داخل أحداثه، وليبدو غياب يوسف داخل هذا السيناريو نتيجة تلقائية حدثت وحدها، لم يدبروا لها ولا كان في مقدورهم منعها، فلولا أن يعقوب أباهم نبي، ويعلم من خبيئة أنفسهم ما يكتمونه، لانفطر قلبه أسى وابيضت عيناه من الحزن لبكائهم لا على يوسف.

والسيناريو اليهودي الواسع الذي ستراه في الكتاب الذي بين يديك، ويبدو وكأنهم لا علاقة لهم به، هو تخليق العقيدة الآرية ونقاء الدم الألماني في معامل الحركات السرية، بمحاكاة العقيدة التوراتية في قداسة الدم البني إسرائيلي، ثم تمويل يهود الرأسمالية وماسونها للاشتراكية القومية الألمانية، أو النازية، التي هي ترجمة سياسية للعقيدة الآرية، وتمكينها من الوصول إلى السلطة في ألمانيا، ليكون فصل اليهود عن المجتمعات الأوروبية، وإلقائهم في أحضان الحركة الصهيونية، واضطرارهم للهجرة، نتيجة تلقائية لهذا السيناريو، يدفعون بها التاريخ في اتجاه غاية اليهود ودولة بني إسرائيل.

ورابع سمات التدبير البني إسرائيلي، أن ركناً ركيناً من السيناريو الواسع الذي يرسمونه لتمويه غايتهم وطمس آثارهم، تجهيز الأدلة والوثائق ووسائل الإعلام التي تلقي بتبعة ما يدبرونه ونتائج ما يفعلونه على غيرهم من الذئاب داخل هذا السيناريو.

فبينما هم ينفذون السيناريو الذي اتفقوا عليه للتخلص من أخيهم بطرحه في الجب ليلتقطه بعض السيارة ويختفي، كانوا قد جهزوا قميصه وظهروا به أمام أبيهم وثيقة تصرخ بدمها الكَذِب على براءتهم.

وفي ما أخبرك به الإله من تهجير بني إسرائيل لأخيهم ثم زعمهم أنه قُتل وتجهيزهم الوثيقة تعلن بنفسها عن قتله، ما يفسر لك ما ستراه في فيلم الهولوكوست، الذي تم صناعته في وسائل الإعلام، وتحَوَّل فيه فصل اليهود عن المجتمعات الأوروبية وترحيلهم وتهجيرهم، الذي أرادته الحركة الصهيونية واتفقت عليه مع قادة النازية، إلى قتلهم وإبادتهم.

ففي أذهان بني إسرائيل، ومن سماتهم النفسية التي يتوارثونها، الدمج بين الرحيل أو الترحيل والقتل، وإحلال هذا محل ذاك، فمن هجَّروه زعموا أنه قُتل، ومن هجَّروهم صرخوا أنهم قتلوهم، والوثائق في كل الأحوال جاهزة.

وخامس خصائص السيناريو البني إسرائيلي، أن أول ما يفعلونه بعد نجاحه ووصولهم إلى غايتهم وما أرادوه منه، ادعاء أنهم وحدهم ضحاياه، ثم البكاء والنحيب على ما حاق بهم من غيرهم فيه.

فبعد أن تم السيناريو الذي رسموه وتحقق ما دبروا له وتخلصوا من أخيهم، كان أول ما فعلوه أنهم جاءوا أباهم عشاءً يبكون!!

وتنبه أن الإله يخبرك أنهم جاءوا أباهم يبكون لا أنهم يتباكون، فتفهم من ذلك أن من شيم بني إسرائيل أنه بعد إتمام ما يدبرونه ووصولهم إلى ما يريدونه يستقر السيناريو الواسع الذي لفقوه في أذهانهم هم أنفسهم، وتتوارى الحقيقة خلف أحداثه، ويصير هو لا هي ما تراه عيونهم وتمتلىء به نفوسهم، وما يهتز له وجدانهم وتهتاج مشاعرهم وتنهمر دموعهم.

وفيلم الهولوكوست الذي ستشاهده في آخر الكتاب ليس سوى خروجهم على العالم بكون بعد أن نجح السيناريو الواسع ووصلوا من خلاله إلى ما أرادوه منه.

أما اليهود الأخفياء، فهم الذين يعيشون في مايحلون فيه من أمم بهويتين، إحداهما ظاهرة في الخارج وموجهة للمجتمع الذي هم فيه، والأخرى باطنة في الداخل ولا يراها ولا يعلمها إلا من هم مثلهم وعلى صلة وثيقة بهم، فالتي في الخارج تدين ظاهراً بديانة المجتمع التي هي فيه وتمارس شعائرها وتحمل اسماً من أسمائه وتعلن بإلحاح انتسابها له، والتي في الداخل توقن أنها تنتسب إلى بني إسرائيل وأن دماءهم المقدسة تسري فيها وتحمل اسماً يهودياً لا يعلمه إلا من يعلمها ولا تدين بالديانة التي تمارس الشخصية الظاهرة شعائرها، وقد تمارس سراً شعائر اليهود وطقوسهم.

وإخفاء الأصول والهوية لتسهيل الحركة والوصول إلى ما يريدونه، عبر تغيير الأسماء والديانة والزي والتماهي مع المجتمعات والثقافات، سمة عامة في اليهود يسيرون بها عبر التاريخ، وتلازمهم في حركتهم بين الشرق والغرب.

فاليهودي في غرب أوروبا مسيحي اسمه لوبيز ويُكوِّن منظمة لهدم المسيحية وهو يغلفها في الدفاع عن الكنيسة، فإذا عبر المضيق إلى بلاد الإسلام صار اسمه أبو محمد وكون حركة باطنية يحرف بها عقائد الإسلام وينشر فيه الخرافات، فإذا سار من غرب عالم الإسلام إلى شرقه تحول إلى كمال وقاد ثورة شعبية، أو انخرط في الجيش ودبر انقلاباً

عسكرياً، فإذا عاد إلى الغرب انقلب إلى شميت وأنشأ بنكاً وشركة تجارية، وهو في كل ما يتغلف به من الأسماء والهويات يُوقن في داخله أنه كوهين وتسري في عروقه الدماء المقدسة البني إسرائيلية، وأن ما يفعله سوف يفضي إلى إعادة الهيكل يوماً ما.

وفي وثائق الجنيزة(•) قوائم طويلة ليهود وبجوار الاسم اليهودي لكل منهم اسمه العلني الذي كان يعيش فيه ويعرفه الناس به، فمحمد ومصطفي وعبد السلام هم كوهين وموشيه وزئيفي، وفاطمة وسعاد وخير النسا هن راشيل ويهوديت وأستير!

وبين الشخصيتين التي في الخارج والتي في الداخل حواجز ذهنية ونفسية تمنع أن يتسرب شيء مما في الداخل إلى الخارج، أو أن يظهر في سلوك الشخصية التي في الخارج أو على لسانها آثار الشخصية التي في الداخل.

وبالهوية المستقرة في قرارها المكين داخلهم، وفي غلاف الشخصية التي يرتدونها في الظاهر، يسعى هؤلاء الأخفياء للصعود في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويكافحون من أجل التسرب إلى دوائر السلطة وأماكن التأثير فيها، واختراق مجالات صناعة الوعي وبث الأفكار، والسيطرة على وسائل

•) الجنيزة גניזה كلمة عبرية تعني الدفينة أوالشيء المدفون، والمقصود بها الخزانة التي تحفظ فيها الكتب والوثائق في المعابد اليهودية، ووثائق الجنيزة هي التي عثر عليها في معبد بن عزرا في القاهرة، وهي نحو مائتي ألف وثيقة، وتحوي نسخاً من التوراة والعهد القديم بالعبرية ولغات أخرى مختلفة، وشروحاً لها، وكتب للطقوس والصلوات، وكذلك وثائق اليهود والطائفة اليهودية، مثل وثائق الميلاد والزواج والطلاق والوفاة وعقود البيع والشراء.

الترف واللهو، ونشرها وتوسيع مساحاتها لتأكل وسائل التربية والتكوين وتحل محلها.

فإذا تمكنوا من المجتمع وأنشبوا أنيابهم الناعمة ومخالبهم غير المرئية في وعيه ونفسه، فصلوه عن تاريخه، وأزاحوا منه مسألة الألوهية، ونسفوا معاييره وموازينه، وأذابوا عقائده وشرائعه، وحللوا قيمه وأخلاقه، وجعلوه على الصورة التي يريدها اليهود لمجتمعات الأغيار، ويكون بها وسطاً قابلاً لانتشار ما يصنعونه في معاملهم من مناهج ونظريات وأفكار، ثم للسير به في المجرى اليهودي للتاريخ.

وفي بعض هؤلاء الأخفياء مزدوجي الهوية تُكِّن الشخصية التي في الداخل كرهاً عميقاً وغِلاً شديداً تجاه المجتمع الذي توجد فيه، لأنه يكبتها ويضطرها إلى كتم ما تعتقده والانزواء خلف الشخصية الغلاف التي في الخارج، وما تقوله وما تفعله التي في الخارج نقيض ما تعتقده وتؤمن به وما تريد أن تفعله التي في الداخل.

واليهودي الخفي من هذا النوع يكون كالبركان الخامل، طاقته وحُممه مكبوتة بالشخصية التي يتغلف بها، ويبدو لمَن حوله ساكناً مستكيناً، وقد يظل هكذا إلى آخر حياته دون أن يشعر أحد بما يفور في داخله، فإذا انكشف الغطاء عن البركان وأُتيح للشخص الذي في الداخل أن يتحرر، بوصوله إلى السلطة أو حيازته للقوة، تفجرت طاقته المكبوتة في أعماقه تجاه المجتمع، وانطلقت حُممه لكي تثأر منه، فصار قاسياً عنيفاً، واستحال سكونه واستكانته سفكاً وتدميراً.

وقصة يوسف عليه السلام في سورته تُزيل غفلة المؤمنين عن ظاهرة اليهود الأخفياء، وتعرفك بمنابعها التي تفجرت منها وتنهمر مياهها في وعي اليهود وأذهانهم ونفوسهم، فالسورة تخبرك أن يوسف عليه السلام دخل مصر غريباً شريداً، ثم استقر في قصور حكامها وصعد في هرم سلطتها إلى أن صار على رأسه، ثم أخذ أخاه في دين الملك.

وقد توقفنا وتستدرك محقاً فتقول: يوسف نبي الله عليه السلام، ودين الملك هنا معناها سلطانه وحكمه، أو عوائده ونظامه العام، لا العقائد والشرائع، ثم إن الله أخبرنا أنه هو عز وجل الذي مكن ليوسف في الأرض وبوأه هذه المنزلة، وأنه سبحانه الذي كاد ليوسف أو دبر له، وأن يوسف ما أخذ أخاه في دين الملك إلا بأمر من الله.

﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾

(يوسف: ٧٦).

بل وقد تقول: وحتى بني إسرائيل، هم الأسباط وأبناء نبي الله يعقوب، وقد أخطاوا ولكنهم تابوا وصفح يوسف نفسه عنهم، والله عز وجل يقول:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾**(البقرة: ١٣٦)**.

ونقول لك: ليس مقصودنا وما نريد أن نصل إليه كيف تستقبل أنت القصة من القرآن وكيف تفهمها وما هي آثارها في وعيك وتكوينك، فما نريد ان نُعرِّفك به هو كيف هي في التوراة وكيف يستقبلها اليهودي ويفهمها وما تغرسه في ذهنه ونفسه وما ينطبع منها في وعيه وسلوكه.

فالقرآن، كما هو شأنه في كل قصصه، أتى بقصة يوسف وإخوته داخل المسار العام لسيرة البشر فيه، وموقع الوحي والرسالات والأنبياء منه ومنها، وسيرة البشر والأقوام جميعاً في القرآن عقائدية، أصلاً وانحرافاً، وهداية وضلالاً، والعقائد والإيمان والطاعة هي ميزان الحكم عليهم، والانتساب للأنبياء باتباعهم لا بالانحدار منهم.

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

(آل عمران: ٦٨).

ثم إن القرآن أتى بأصل القصة وقد صححها لنا ولبني إسرائيل، لكي يكشف بتصحيحها النموذج الذي يستلهمه اليهود من تحريفها.

فيوسف عليه السلام في القرآن نبي الله، والله عز وجل هو الذي مكن له وبوأه منزلته، وهو الذي أوحى إليه ان يأخذ أخاه في دين الملك، ولأنه بأمره عز وجل فهو خصيصة ليوسف عليه السلام وحده، وليس شريعة ولا سنة لمن بعده.

أما في التوراة فسيرة البشر عرقية، والأعراق والدماء هي ما يربط أو يفصل بينهم، وقداسة بني إسرائيل لسلالتهم، وهذه القداسة تسري في دماء نسلهم دون قيد من إيمان ولا شرط من طاعة، والإله شيخ بني إسرائيل، فهو إلههم وحدهم، ومعرفته مقصورة عليهم.

ويوسف في التوراة ليس نبي الله، بل أحد بني إسرائيل، وأب من آبائهم، تسري دماؤه المقدسة في أنسابهم وتنتقل في أجيالهم، وما فعله صار نموذجاً ينفتق وعيهم عليه، وتتكون أذهانهم ونفوسهم به، ومثال يستلهمونه

ويحاكونه، بعد أن حُجبت منه الإرادة الإلهية وأنه وحي اختُص يوسف به، وأن الله عز وجل هو الذي كاد له وأذن أن يأخذ أخاه في دين الملك.

ونموذج يوسف التوراتي هو البني إسرائيلي الذي يدخل مملكة عظيمة غريباً ضعيفاً فقيراً يبحث عن موطيء له بين أهلها، فيتكلم بلسانهم ويتسمى بأسمائهم ويرفع راياتهم وفي نفسه أن دماءه مقدسة وليست منهم، ويظهر عقائدهم ويمارس شعائرهم وهو لا يؤمن بشيء منها.

وفي التوراة أنه:

"وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ: "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ"، وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ زَوْجَةً"(١).

وفي قاموس الكتاب المقدس الذي وضعه الدكتور جورج بوست George Post، وطبع في المطبعة الأمريكية في بيروت أوائل القرن العشرين أن:

"صَفْنات فَعْنيح: معناه: مخلص العصر"(٢).

ولن يخفى عليك وأنت تقرأ الكتاب الذي بين يديك أن هتلر وبعض من قادة النازية ليسوا سوى صفنات فعنيح ألمانيا، ولثقتنا في فطنتك وذكائك نترك لك تحديد من يكون صفنات فعنيح بلاليص ستان، وكم كان عددهم في تاريخها.

---

(١) تكوين: ٤١: ٤٥.

(٢) دكتور جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج٢،ص٨، طبع في المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٠١م.

فإذا سنحت لهذا البني إسرائيلي السوانح تسرب في أنسجة المجتمع حتى يصعد إلى سطحه، وسرى في قصور صفوته ومن يحكمونه حتى يصبح منهم، إلى أن تقع مقاليد البلاد كلها بين يديه، وتصير أمورها جميعاً إليه:

"٤١ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: "انْظُرْ، قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ".٤٢، وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتِمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ،٤٣ وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ: "ارْكَعُوا". وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. ٤٤ وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: "أَنَا فِرْعَوْنُ، فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ"(٣).

فإذا وقعت مقاليد البلاد وأزمتها بين يديه، أباحها لبني إسرائيل، وجلبهم إليها ووطأ لهم فيها، أو قرَّبها إليهم وحمل خيراتها لهم، وإن كانوا على عداوة معه أو كادوا له من قبل:

"٩أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ، اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ.١٠ فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ ... ١٨وَخُذُوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيَّ، فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الأَرْضِ.١٩ خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَتٍ لأَوْلاَدِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَاحْمِلُوا أَبَاكُمْ وَتَعَالَوْا.٢٠ وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ»(٤).

---

(٣) تكوين: ٤١: ٤١- ٤٤.

(٤) تكوين: ٤٥: ٩-١٠، ١٨-٢٠.

فتنبه أن هذا البني إسرائيلي التوراتي يحكم مصر ويتحكم في كل شيء فيها، ويركع له أهلها، ولا يرفع أحد منهم يده ولا رجله إلا بأمره، وهم لا يعرفون عنه إلا غلافه وما تشيعه وسائل الإعلام من أنه مثلهم وواحد منهم، وابن مصر البار صفنات فعنيح، بينما هو لا ينتسب في قرارة نفسه لهم، وذهنه ونفسه مقطوعة الصلة بهم، وتتصل ببني إسرائيل وتدبر لهم، ويُسخر مصر كلها من أجل غايتهم ومصالحهم.

وهذا هو ما تستقبله أذهان بني إسرائيل واليهود من سيرة يوسف التوراتي وما تفهمه، وهو عندهم النموذج الأعلى للنجاح وما يجب أن يصنعه اليهودي فيما يحل فيه من أمم وبلدان.

فإليك نموذجاً آخر، نأتيك به لتتيقن أن سيرة يوسف البني إسرائيلي التوراتي، والهوية المزدوجة التي يتوافق ظاهرها مع الأمة أو البلد التي يحلون فيها، ويكون غلافاً للبني إسرائيلية التي في الداخل، وتوظيف الأولى من أجل الثانية، صارت من أركان البناء الذهني والنفسي والسلوكي لليهود، يتوارثونها عبر الأجيال والقرون، وينفردون بها بين الأقوام وأصحاب الملل.

والنموذج الآخر هو مُردخاي وأستير في السفر المسمى باسمها، وبينهما وبين سيرة يوسف التوراتي اثنا عشر قرناً من الزمان، وقد أتيناك بهذا النموذج من قبل في كتابنا: الوحي ونقيضه، فهاك هو موجزاً.

في القرن الخامس قبل الميلاد أمر أحشويرش إمبراطور الفرس الذي تمتد مملكته من الهند إلى كوش، وهي النوبة، بجمع أجمل الفتيات من كل بلاد مملكته إلى العاصمة شوشن القصر، ليدفعن إلى أيدي هيجاي خصيه

وحارس النساء، ليزينهن ويعطرهن حتى ينتقي الملك منهن من تحل محل الملكة وشتي التي غضب عليها.

وكان في العاصمة شوشن القصر رجل من يهود السبي يدعى مُردخاي ، فلما صدر أمر الملك وشاع في العاصمة، أخذ مردخاي ابنة عمه رائعة الجمال التي رباها في حجره كابنة له إلى أحسن مكان في بيت النساء من قصر الملك بعد أن زينها وعطرها.

وابنة عمه هذه، كما يقول السفر، كان لها اسم عبري سميت به حين وُلدت، هو هداسَّاه הֲדַסָּה، وهي شجرة الآس بالعبرية، ولها اسم فارسي تعيش به، هو إستير، وهو مأخوذ من اسم الربة عشتار البابلية.

وترك مردخاي ابنة عمه بعد أن أوصاها بوصيته التي التزمتها إستير التزاماً كاملاً:

" **١٠وَلَمْ تُخْبِرْ أَسْتِيرُ عَنْ شَعْبِهَا وَجِنْسِهَا لأَنَّ مُرْدَخَايَ أَوْصَاهَا أَنْ لاَ تُخْبِرَ** "[٥].

ورفع احشويرش إستير على كرسي المُلك، ووضع على رأسها تاج المملكة، وأُغرم بها غراماً شديداً، دون أن تخبره عن جنسها وشعبها:

" **كَمَا أَوْصَاهَا مُرْدَخَايُ. وَكَانَتْ أَسْتِيرُ تَعْمَلُ حَسَبَ قَوْلِ مُرْدَخَايَ كَمَا كَانَتْ فِي تَرْبِيَتِهَا عِنْدَهُ**"[٦]!

---

[٥]) إستير: ٢: ١٠.

[٦]) إستير: ٢: ٢٠.

وارتفع في مملكة أحشويرش شأن هامان بن همداثا، ورقاه الملك حتى جعل كرسيه فوق جميع الرؤساء الذين معه، وفي السنة الثانية عشرة لحكم أحشويرش دخل هامان عليه وقال له:

" **«إِنَّهُ مَوْجُودٌ شَعْبٌ مَّا مُتَشَتِّتٌ وَمُتَفَرِّقٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِكَ، وَسُنَنُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهُمْ لاَ يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ، فَلاَ يَلِيقُ بِالْمَلِكِ تَرْكُهُمْ. ٩فَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْيُكْتَبْ أَنْ يُبَادُوا**"(٧).

وذهب مُردخاي إلى باب الملك، وأخرجت إليه إستير أحد خصيان الملك، فأعطاه مردخاي صورة أمر الملك لتراه إستير، ثم أوصاها أن تدخل إلى الملك وتتضرع إليه وتطلب منه لأجل شعبها، فردت عليه إستير أنه لا أحد يدخل على الملك إلا بدعوة منه، ومن يخالف ذلك يقتل، وهي لم تدع لتدخل على الملك لثلاثين يوماً مضت.

فقال مردخاي للرسول أن يبلغ إستير أنه:

" **لاَ تَفْتَكِرِي فِي نَفْسِكِ أَنَّكِ تَنْجِينَ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ دُونَ جَمِيعِ الْيَهُودِ. ١٤لأَنَّكِ إِنْ سَكَتِّ سُكُوتًا فِي هذَا الْوَقْتِ يَكُونُ الْفَرَجُ وَالنَّجَاةُ لِلْيَهُودِ مِنْ مَكَانٍ آخَر(!!)، وَأَمَّا أَنْتِ وَبَيْتُ أَبِيكِ فَتَبِيدُونَ. وَمَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هذَا وَصَلْتِ إِلَى الْمُلْكِ؟**"(٨).

وأعدت إستير وليمة وأغرقت أحشويرش في الخمر، ليطلب منها في ثاني أيام الوليمة وهو في بيت الخمر أن تسأله ليعطيها، فلم تسأله إلا شيئاً واحداً، هو نفسها وشعبها:

---

(٧) إستير: ٣: ٨-٩.

(٨) إستير: ٤: ١٣-١٤.

"٤لأَنَّنَا قَدْ بِعْنَا أَنَا وَشَعْبِي لِلْهَلاَكِ وَالْقَتْلِ وَالإِبَادَةِ"[٩].

فسألها الملك: " **مَنْ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ هذَا الَّذِي يَتَجَاسَرُ بِقَلْبِهِ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ هكَذَا؟**"، وهاهنا، ولأول مرة، يعرف الملك أن المرأة التي أجلسها على عرش المملكة وتساكنه قصره وتبيت في مخدعه وبين أحضانه منذ خمس سنوات يهودية، وأن مُردخاي ابن عمها، وأن عدوها وعدو شعبها الذي تطلب من الملك معاقبته هو وزيره هامان!!

وبعد أن أمر أحشويرش بصلب هامان، سقطت إستير عند رِجلَي الملك وبكت وطلبت منه أن يكتب ما يزيل به الكتابة التي أرسلها هامان في كل بلاد المملكة ويأمر فيها بإيقاع الشر بشعبها وجنسها، فأمر الملك مُردخاي وإستير أن:

"٨**اكْتُبَا أَنْتُمَا إِلَى الْيَهُودِ مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمَا بِاسْمِ الْمَلِكِ، وَاخْتُمَاهُ بِخَاتِمِ الْمَلِكِ، لأَنَّ الْكِتَابَةَ الَّتِي تُكْتَبُ بِاسْمِ الْمَلِكِ وَتُخْتَمُ بِخَاتِمِهِ لاَ تُرَدُّ**"[١٠].

وانطلقت الرسل بالكتب التي كتبها مردخاي وإستير، بعد أن بصم عليها الملك، إلى الكور المائة وسبع وعشرين التي تتكون منها المملكة، وتمتد من الهند إلى كوش، أن الملك:

"١١**أَعْطَى الْيَهُودَ فِي مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ أَنْ يَجْتَمِعُوا وَيَقِفُوا لأَجْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَيُهْلِكُوا وَيَقْتُلُوا وَيُبِيدُوا قُوَّةَ كُلِّ شَعْبٍ وَكُورَةٍ تُضَادُّهُمْ حَتَّى الأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ، وَأَنْ يَسْلُبُوا غَنِيمَتَهُمْ ... ١٧وَفِي كُلِّ بِلاَدٍ وَمَدِينَةٍ، كُلِّ مَكَانٍ**

---

[٩]) إستير: ٧: ٤.

[١٠]) إستير: ٨ : ٨.

وَصَلَ إِلَيْهِ كَلاَمُ الْمَلِكِ وَأَمْرُهُ، كَانَ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَوَلاَئِمُ وَيَوْمٌ طَيِّبٌ. وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الأَرْضِ تَهَوَّدُوا لأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ"(١١).

وبعد أن استراح اليهود من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفاً، بعث مُردخاي إلى اليهود في جميع كور المملكة أن اجعلوا يومي الرابع عشر والخامس عشر من آذار في كل سنة أيام فرح وشرب وعطايا للفقراء، وهذا هو عيد الفوريم الذي ما زال يحتفل به اليهود إلى يومك هذا.

وكما يعيد الخطباء والوعاظ قصة الهجرة النبوية كل عام في ذكراها ليغرسوا في أذهان المسلمين معانيها وقضاياها وقيمها، ولتكون نموذجاً يرنو إليه المسلم ويلهمه فيصنع مثله وأخلاقه، وكما يجلس المسلم في بيته ليحكي لابنه وابنته في عيد الأضحى قصته، يعيد خطباء اليهود ووعاظهم وحاخاماتهم ذكر قصة إستير ومردخاي في السفر المقدس، ويحكيها اليهودي لابنه وابنته مفتخراً بذكاء آبائه ودهاء أمهاته، وما أوقعوه بأعدائهم دون سلاح ولا شوكة ولا خطة سوى إخفاء هويتهم والتسلل إلى ذهن حمار أمي بدرجة إمبراطور وإسراجه لكي يكون مطيتهم إلى ما يريدون، فلا يظهر على الشاشة غيره، ولا يُدون في الوثائق إلا ختمه، ولا يكتب في المراجع المعتمدة سوى اسمه!

وفي كل كورة ينزل فيها اليهود، وفي كل عاصمة، في شوشن القصر، في واشنطن القصر، في لندن القصر، في باريس القصر، وفي بلاليص

(١١) إستير: ٨: ١١، ١٧.

ستان القصر، ستجد مردخاي يستوطن أذهان نخبتها وساستها، وقد جهز لأحضان الجالس على عرشها غانية غلافها إستير وحقيقتها هداسَّاه.

وإليك نموذجين آخرين، بعد مُردخاي وأستير بخمسة وعشرين قرناً، وبعد يوسف التوراتي بسبعة وثلاثين قرناً، تعرف منهما أن الهوية المزدوجة في المجتمعات ميراث تتوارثه أذهان بني إسرائيل ونفوسهم، وتوقن أن ما يخبرك به الإله في وحيه عن بني إسرائيل ليس حكايات للسمر، ولا هي مجرد قصص حدثت في الماضي وانتهت وانقطعت آثارها ويخبرنا بها للعبرة والعظة، بل هي وسيلة ونماذج يكشف من خلالها تكوين بني إسرائيل وسمات بنائهم الذهني والنفسي، وخصائصهم السلوكية التي تسري فيهم من زمان إلى زمان، وتسير معهم من مكان إلى مكان.

والنموذجان من بلاليص ستان في القرن الحادي والعشرين، فإليك الأول.

في يوم ٢٥ مارس سنة ٢٠١٣م، وبمناسبة عيد الفصح اليهودي، نشر الموقع الرسمي للجيش الإسرائيلي حواراً مع فتاة مصرية هاجرت إلى إسرائيل وتم تجنيدها داخل الجيش الإسرائيلي، وفي شهر مارس سنة٢٠١٤م عرض المتحدث الرسمي باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي على صفحته الرسمية على الفيس بوك مقطع فيديو تظهر فيه دينا عوفديا نفسها وهي تروي قصتها.

وقصة دينا عوفديا، أنها ولدت وعاشت طفولتها في حي المعمورة في مدينة الإسكندرية، واسمها الذي سُميت به وكانت تحمله في مصر هو كارولين عبد الله.

وبدأت كارولين عبد الله تعليمها في مدارس الإسكندرية، وصار لها أصدقاء وصديقات، ولكنها كانت تشعر دائماً أنها مختلفة عمن حولها، ولم تكن تعرف شيئاً عن أصول أسرتها.

وفي طفولتها ذهبت مع بعض زميلاتها إلى مسجد بجوار المدرسة وعندما علمت أمها غضبت غضباً شديداً ونهتها عن ذلك، فاعتقدت أنهم مسيحيون، ولكنها حين ذهبت إلى الكنيسة مع زميلاتها المسيحيات غضب أبوها ومنعها من التعلق بأي دين أو ممارسة شعائره، فأصابتها الحيرة ولم تعد تعرف هل هي مسلمة أم مسيحية، ثم صارت تعتقد أنهم مسيحيون علمانيون.

وحين وصلت كارولين عبد الله إلى سن الخامسة عشرة، جمع جدها الأسرة وأخبرها أنهم يهود، فوجدت، كما تقول، نفسها، وشعرت لأول مرة بأنه يوجد ما تنتمي إليه، ثم هاجرت الأسرة إلى إسرائيل عبر تركيا، وهناك غيَّر أفرادها أسماءهم، وتحولت كارولين عبد الله إلى دينا عوفديا، والتحقت بمدرسة دينية في القدس.

وبعد انتهاء دراستها الثانوية التحقت دينا عوفديا بالجيش الإسرائيلي، ولإجادتها العربية انضمت للعمل مع أفيخاي أدرعي المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي، وهو الآخر يجيد العربية، وهي الآن في السابعة والعشرين من عمرها.

وفي شهر يناير سنة ٢٠١٦م، بعد اثني عشر عاماً من هجرة دينا عوفديا إلى إسرائيل، أصدر مجلس الوزراء في مصر قراراً بإسقاط الجنسية المصرية عن كارولين عبد الله لانضمامها إلى الجيش الإسرائيلي، لكن

السؤال الذي لم يدر بخلد أحد ولا فكر في البحث عن إجابته: كم يبلغ عدد الذين يَرْتَدُون اسم عبد الله في مصر وهم في حقيقتهم عوفديا، وإلى أي مواقع تسللوا في دولتها ومؤسساتها، وما الذي يفعله ويبثه من استوطن منهم جامعاتها وإعلامها وآدابها وفنونها؟

ومن شرق بلاليص ستان إلى غربها.

في يوم ٥ أبريل سنة ٢٠١٣م نشرت صحيفة النهار الجديد الجزائرية قصة دعوى رفعتها سيدة شابة مسلمة أمام قسم شؤون الأسرة في المحاكم الجزائرية، وتطلب فيها الحصول على حكم من القضاء بالتطليق من زوجها، لأنها اكتشفت أنه يهودي!!

وفي عريضة الدعوى قالت إنها تعرفت على شاب مسلم وسيم اسمه: "ب ك" منذ سنتين، وكان يعمل صائغاً بمحل لبيع المجوهرات لدى عمه، وأخبرها أنه تونسي وأسرته تقيم بالجزائر منذ ثلاثين سنة، ولعطفه وحنانه وتقديره للمرأة ودورها في المجتمع تعلقت به وارتبطت معه بعلاقة عاطفية، انتهت بأن طلب يدها من أسرتها وتزوجها بمراسم زواج إسلامية، ثم انتقلا للإقامة في ضواحي مدينة البليدة حيث تقطن عائلته التي تمتهن بيع المجوهرات.

وتقول مليكة إنها وجدت أسرة زوجها تفعل أشياء غريبة أثارت انتباهها، فقد كانت الأسرة تجتمع في كل ليلة من ليالي الجمعة، ويوم السبت من كل أسبوع، في إحدى غرف المنزل، ويمنعونها من الدخول معهم إلى الغرفة.

وفي البداية اعتقدت مليكة أنه يوجد خلافات بين أفراد الأسرة، ويريدون تسويتها دون أن تطلع عليها، لكن مع الوقت انضمت عائلات أخرى من

البليدة لتلك الاجتماعات السرية، وصاروا يحضرون في ليالي الجمعة ويوم السبت ويدخلون مع أسرة زوجها إلى الغرفة، فسألت زوجها الذي رد عليها بأشياء لم تقنعها.

وقررت مليكة أن تعرف بنفسها ما الذي يفعلونه في الغرفة، فانتظرت اجتماعهم فيها وأخذت تتنصت عليهم وتراقب ما يفعلونه من خلال فراغات بابها، فرأتهم يرتدون ملابس طويلة سوداء، ويضعون على رؤوسهم قبعات صغيرة، ويرددون كلمات بالعبرية ووجوههم صوب الحائط، ثم بعدها يقومون بشرب ماء موضوع داخل صينية حديدية بعدما يقرأ كبيرهم بعض التعاويذ على الماء.

وبعد ساعة من الطقوس، قامت ربة المنزل، التي هي حماتها، بتوزيع فطائر على الحاضرين تصنعها خصيصاً ليوم السبت، فصاروا يأكلونها في الظلام وفي سكون.

ولما أخبرت زوجها بما رأته قال لها إنهم يهود، وأنه أخفى عليها الأمر لأنه يحبها، وقال لها أبوه وأمه إن ما يفعلونه لا يجرح كرامتها في شيء، فهي ديانتهم ويحق لهم أن يمارسوا طقوسها.

وفي محكمة الأسرة لم تصدق القاضية ما تقوله مليكة في البداية، وظنت أنها ابتكرت هذه الحكاية لأنها تريد الطلاق من زوجها، ولكنها فوجئت بزوج مليكة يقول في رده على الدعوى: "إن الديانة لم تكن يوماًعائقاً أمام المحبين".

وأما ما أصاب القاضية بالذهول، فهو أن المظهر الذي كان يبدو عليه الشاب وتكلمه العربية بطلاقة وفصاحة لا تدعو للشك بتاتاً أنه يهودي!

والآن، يُمكنك أن تبدأ رحلتك مع النازية واليهود والحركات السرية، ومعك سورة يوسف، مفتاحاً للشفرة الذهنية والنفسية والسلوكية لبني إسرائيل، يكشف لك طريقة عمل عقولهم وخصائص تدبيرهم، وضوءًا ينير لك أغوار اليهود الأخفياء، ويُبصرك بتلافيف نفوسهم، وتنفذ به من أغلفتهم إلى حقائقهم، وحينئذ لن يكون عسيراً عليك إدراك ما بين النازية واليهود من صلات، ولا الربط بين ما يبدو مختلفاً فيها من اتجاهات ومسارات، ولا تفسير ما تحفل به من غرائب ومتناقضات.

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٢٧ رجب١٤٣٨هـ/٢٤ أبريل ٢٠١٧م